كتبها Administrator

الأحد, 21 ديسمبر 2014 19:49 - تم التحديث فى السبت, 27 ديسمبر 2014 20:04

مواجهة الشر عند الحكيم الترمذى

ولد الحكيم الترمذى فى بداية القرن الثالث الهجرى بمدينة ترمذ - الواقعة على نهر جيحون بخراسان - وتعددت آراء الباحثين فى منشأ لقبه بالحكيم ومغزاه تبعاً لاعتبارات مختلفة. أهمها أنه كان من القلائل الذين قاموا بتحليل بارع للنفس الإنسانية ، وتمكنوا من الكشف عن مناهج السلوك الروحى) [1]).

ومع ذلك يمكن التساؤل : لماذا لم يعمم هذا اللقب على كل من قام بهذا العمل ؟ يبدو أن لقب الحكيم ارتبط بتفرده بين الصوفية بالإلمام بكثير من علوم عصره العملية كالطب والفلك ، كما أنه سلك فى حياته مسلكاً خاصاً بين الناس استحق به هذا اللقب) [2]).

كان على خلاف مع فقهاء عصره . وكذلك مع أصحاب الحديث . وقد حمل على الصوفية حملة عنيفة كان من نتائجها أن ثاروا عليه ، ومنعه أحد الحكام من الكلام فى موضوع الحب الصوفى.

للحكيم الترمذى موقف معارض للشيعة ، وخاصة الرافضة ، ويمكن أن يضع هذا الموقف أيدينا على أحد الأسس التى تفرق بين التصوف من التشيع . وهو المجال الذى قدمت فيه دراسات حديثة تثبت الصلة القوية بينهما ، إلى حد أنهما تبادلا المواقع والأسلحة [3] .

وقد امتد تأثير الحكيم الترمذى فى التصوف الإسلامى كله . فقد تأثر به الغزالى فى أحد فصول كتابه (إحياء علوم الدين) وهو ذم الغرور ، حيث أخذه من كتاب (الأكياس والمغتربين) .

وأفرد ابن عربى جزءاً كبيراً من كتابع الضخم "الفتوحات المكية" للرد على (155) سؤالاً طرحها الحكيم الترمذى فى أشهر كتبه على الأطلاق ، وهو كتاب (ختم الأولياء) .

كما نقل ابن القيم فقرات من كتابه الفروق - الذى سنتعرض لدراسته - فى كتابه "الروح" دون أن يشير إلى مصدرها ، على الرغم من أنه اعتمد على أقواله فى مواطن أخرى من الكتاب نفسه .

وأخيراً حظى الحكيم الترمذى بتقدير أعلام المدرسة الصوفية المعروفة بالمدرسة الشاذلية . وهم أبو الحسن الشاذلى ، وابن عطاء الله السكندري ، وأبو العباس المرسى) [4] (.

ومن أهم مؤلفات الحكيم الترمذى : كتابه (ختم الأولياء) و(الرياضة ، وأدب النفس) و(تحصيل نظائر القرآن) و(الصلاة ومقاصدها) و(الفروق) الذى سوف نعرض له فيما يلى :

منهج الحكيم الترمذى :

يروى أن الحكيم الترمذى كان يقع - أثناء الكتابة - تحت تأثير شعور نفسى جارف ، وأنه كان يترك قلمه تحت تصرف هذا التأثير) [5] (

والواقع أن بعض الصوفية قد تحدثوا عن مثل هذا الشعور. يقول ابن عربى : "وعلم الله ما قيدت هذا القدر إلا والحمى تنفضنى فى باطنى ، مما أجد من قوة الوارد , وازدحام تموج المعارف فيه"
(

[6]

كتبها Administrator
الأحد, 21 ديسمبر 2014 19:49 - تم التحديث فى السبت, 27 ديسمبر 2014 20:04

)

.

ومع ذلك ، فإن الحكيم الترمذى يتناول فى كتابه "الفروق" - بالتحديد والتحليل - مائة وخمسة وخمسين فرقاً بين مفهومين ، وقد يكونان متضادين تماماً (كالخوف والجبن) أو متقاربين فى الظاهر إلى حد ما (كالخشوع والتماوت) أو غير واضح الفرق بينهما على الإطلاق (كالصلابة والقسوة) .

ويلاحظ أنه أعطى لبعض الفروق أهمية أكبر من غيرها . وبالتالى فقد سمح لها بعدد أكثر من الصفحات وذلك مثل الفرق بين (المداراة والمداهنة) فى أول الكتاب ، والفرق بين (المشاكلة والمقايسة) فى آخره ، أما باقى المفاهيم فقد عرضها عرضاً متوسطاً، أو مركزاً ، لكنه لا ينقصه الوضوح المطلوب .

يعتمد الترمذى فى شرحه للمفاهيم على الاستشهاد بالقرآن الكريم وذلك فى حالتين : عند تحديد المعانى اللغوية ، وعند تأكيد بعض الموضوعات الأخلاقية ، كما يكثر من الاستشهاد بالحديث النبوى ، الذى اشتغل بروايته فترة من حياته ، كما يقدم بعض الأمثلة التاريخية ، ويبدو منها اطلاعه على كل من التراث الدينى للمسيحية واليهودية ، بالإضافة إلى استيعابه للتراث الفارسى ، ويوجد فى كتاب الفروق ما يؤكد معرفته بكل من اللغتين : العبرية والفارسية .

هذا ، ويبدو فى كتاب الحكيم الترمذى - بالإضافة إلى إحاطته بالثقافة الدينية وتمكنه منها - عناصر من ثقافة طيبة ، وذلك بالقدر الذى كانت تسمح به معلومات هذا المجال فى عصره . فهو كثير الحديث عن أعضاء الإنسان الباطنة كالقلب والنفس والروح والعقل

، وقواه المختلفة كالغضب والشهوة والإرادة وارتباط هذه جميعاً بالأفعال والانفعالات .

وفى كثير من الأحيان تشيع ، لدى الحكيم الترمذى ، روح نقدية صافية تشير - صراحة أو ضمناً - إلى ما فى عصره من عيوب سياسية واجتماعية وخلقية ، وتكشف عن دوافعها ، وتحذر من مظاهرها و آثارها .

ويميل الحكيم الترمذى فى أكثر كتاباته إلى البسط والشرح أكثر من التركيز والاختصار . وربما كان السبب فى ذلك هو الدافع التعليمى ، ولكن طبيعته العفوية فى التأليف ، والتى كان يقع فيها تحت تأثير شعور جارف بالاسترسال - يمكن أن تمثل سبباً آخر .

ومن الطبيعة أن يوجد قدر من تكرار الأفكار نتيجة هذا البسط، كما لا تخلو كتابات الترمذى من استطراد ، قد يطول أحياناً ، لاعتماده على نقول تاريخية أو دينية .

وحتى نأخذ صورة متكاملة عن كتابة الترمذى : المركز منها، والمتوسط والمبسوط ، سنعرض هنا نموذجين يمثل أولهما النوع المركز ، وفيه يقول الترمذى : "الفرق بين الخشوع والتماوت" .

الخاشع : عبد قد خمدت نيران شهوته ، وسكن دخانها عن صدره ، فخلا الصدر ، وتجلى النور على عينى فؤاده فى صدره ، وأشرق نور العظمة، فماتت شهواته من الخوف الذى ذاله من ذلك ، وحيِى القلب ، فخشع ، وخمدت الجوارح يخوف النفس ، وتوقر القلب واطمأن إلى الله للسكينة التى تنزلت عليه من ربه ، وهو قوله : (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) والمخبت : المطمئن .. والخبت من الأرض ما قد تطامن فاستنقع فيه الماء .

والمتماوت : عبد يتكلف إسكان الجوارح ، ونفسه فى الباطن شابة طرية ذات شهوات ، ولكنه يصير نفسه كالميت من تسكين الجوارح تصنعًا ومراءاة .. يحب أن يرى خاشعًا فهو يتخشع فى الظاهر ، والأسد منه رابض ينتهز الفرصة ، وقد تعوذ رسول الله r، من ذلك فقال : "نعوذ بالله من خشوع النفاق" قيل : يا رسول الله : ما خشوع النفاق ؟ قال : "أن يخشع البدن ، والقلب ليس بخاشع!"
(
[7]
)
.

أما النموذج الثانى فنقدمه مثالاً على الكتابة المتوسطة ، وفيه يقول الترمذى : "الفرق بين الهدية والرشوة" .

فالهدية أن يعطيك (شخص ما) شيئًا يريد أن يهدى ، أى يميل، بقلبك إلى قلبه ، ونفسك إلى نفسه . ومن ذلك قيل : يتهادى فى مشيته أى يتمايل . والهدى مأخوذ من ذلك أيضاً . وهو ميل القلب إلى الله عز وجل .

فإذا أعطاك على أن يميل قلبك إلى نفسه ، وأنت ذو سلطان أو ذو سبب من السلطان فهو رشوة . لأن السلطان ظل الله فى الأرض . والعدل سبيله . فإذا أعطى السلطان فسلك سبيل العدل فما أخذ عليه كأنه صيره ثمناً للعدل ، والله لا يرضى أن يباع عدله فى أرضه بحطام الدنيا ، فإنه بذل العدل لعباده ، ولم يقتض عليه من عباده شيئاً. فلذلك صارت هديته رشوة .. مأخوذ من الرشا ، لأن الرشا به يستمد من البئر الماء ، فينزعه به ، وكذا هذا : صير هذه العطية ، بها يستمد العدل من الحاكم .

ولم يؤمر الحاكم بأن يكون بحال يستمد منه العدل بالاحتيال ، بل يكون عدله كالماء الجارى الذى لا يكون للخلق فيه مؤنة يتناولونه بيسر ، لا بالاحتيال ، فالهدية للسلطان أو لذى سبب منه : رشوة .

ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال لبعض ولاته ، حين جاءه بشىء : "يقول أحدكم : (هذا لكم ، وهذا أهدى لى) أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى ينظر : هل تأتيه هديته!" [8] .

أما النموذج الذى يعبر عن طريقة المحاسبى التى يميل فيها إلى البسط والشرح ، فهو ما سوف نقف عليه من تحليل موقفه من المسلم فى مواجهة الشر . إذا كان المسلم قادراً بشخصه أو بمركزه على تغيير الشر من المجتمع الذى يعيش فيه ، فذلك أمر واضح لا غموض فيه .

أما إذا شاهد الشر ، دون أن تكون لديه الوسائل أو الإمكانيات الكافية لمواجهته وتغييره : ماذا يفعل ؟ وكيف يتصرف ؟

يقوم الحكيم الترمذى بتحليل هذا الموقف عن طريق التفرقة بين دافعين أخلاقيين تصدر عنهما فى الغالب أعمال الإنسان ، ومع ذلك فإنهما - من وجهة النظر الإسلامية - مختلفان أشد الاختلاف .

ويتمثل هذان الدافعان ، اللذان يتحولان فى الواقع إلى سلوك ، فيما يسمى : المداراة ، والمداهنة .

ويبدأ الحكيم الترمذى بتحديد كل منهما فى تعريف مختصر ، محاولاً الكشف عن سبب إطلاق هذين اللفظين عليهما ، ومعتمداً فى ذلك على لغة القرآن الكريم ، فيقول : "المداراة : فعل لطيف ممزوج بصلابة . وإنما سميت مداراة لمداراة الأحوال فيها ، وهى مشتقة من الدرء - مما يدرأ أى يدفع بعضه ببعض من قوله عز وجل : (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) [9] أى اختلفتم . فالتدارى : تلوين الأحوال بالرفق مرة ، ثم الصلابة ، ثم الرفق ، حتى يصل بين الرفقين بالصلابة .

وكذلك المداهنة : هى تلوين الأحوال ، والترفق فى الأمور والتلطف لها حتى يصل بعضها ببعض ، وهو قوله تعالى : (فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) [10] فإنما شبه السماء بالورد لتورده ، وبالزيت لتلونه بحمرة ، ومرة بخضرة ، ومرة بصفرة ، فكهذا صفة الدهن والورد"

[11]

.

ثم ينتقل إلى موقف الشرع من هذين الخلقين ، "فالمداراة فعل قد ندب الله العباد إليه ، ورضى بها ، والمداهنة منهى عنها مذمومة فى الشريعة : قال تعالى : (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [12] ".

ويذكر الحكيم الترمذى أن هناك اتفاقاً بين المداراة والمداهنة من ناحية وخلافاً كبيراً من ناحية أخرى .

أما الاتفاق فيتمثل فى أن كلاً منهما يستخدم فيه نفس الأسلوب، وهو الرفق واللين والتلطف . وتلك أمور يمكن الوقوف على مظاهرها فى سلوك الإنسان . كما أنه بمقدور المجتمع أن يحكم على صاحبها بالصدق أو بالزيف.

وأما الاختلاف فينحصر فى أن الدافع والهدف اللذين يوجدان فى داخل الإنسان لا يستطيع الآخرون دائماً أن يكشفوا حقيقتهما . والقاضى هنا ليس هو المجتمع الذى قد يمكن خداعه ، وإنما هو (حاسة الضمير) التى ترصد ، فى دقة بالغة ، كل النوايا والمقاصد التى تتواثب فى أعماق الإنسان .

كتبها Administrator
الأحد, 21 ديسمبر 2014 19:49 - تم التحديث فى السبت, 27 ديسمبر 2014 20:04

فالمدارة إذا سكت فيها الإنسان عن صاحب المنكر أبقى على دينه ، ودين صاحبه ، لأن صاحب المنكر قد ركب هواه ، واستمر فى ذلك ، وشرهت نفسه ، فإذا أراد أن ينكر عليه خاف ألا يقبل ، ولا ينجح فيه ، فيزيد فى المنكر والفساد .. لأن النفس لجوجة ، وليس فى كل وقت تقبل الموعظة ، فيحتاج إلى أن يتحين وقت قبولها، ويتلطف لها ، ويكون حاذقاً فى ذلك .

قال رسول الله : "إنما يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر : عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى ، بصير بما يأمر ، بصير بما ينهى ، رفيق فيما يأمر ، رفيق فيما ينهى" .

فالعلم والبصر والرفق : صفات أساسية لابد من توافرها فى كل مصلح وخاصة فى المجال الدينى والأخلاقى ، حيث تتمثل الأدواء فى شكل قرحة غير محسوسة ، وحيث تكون العادات السيئة قد ضربت بجذورها فى أعماق النفس ، وحيث تبدو المعتقدات الفاسدة ، وكأنها أجزاء أصلية من مكونات العقل والشعور .

وليس أقرب لعمل المصلح الأخلاقى فى مداواة خلق سيئ من "طبيب نظر إلى قرحة ليعالجها . فأول أمره التعرف لها حتى يعلم : أى قرحة هى ؟ ثم يتحين نضجها ، ثم يبطها (يشقها) حتى يسيل منها الدم ، ثم يضع عليها من الدواء ما يزيل الفاسد من لحمها ، ثم يتابع عليها المراهم اللينة التى تنبت اللحم، ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها وييبسها" .

ويعلق الحكيم الترمذى على هذا المثال التقريبى قائلاً : "فإذا كانت قرحة واحدة تحتاج إلى كل هذا العلم والبصر والترفق والتأنى والمهلة حتى تعود إلى الصحة . فكيف بسقم هاج من نفس أمارة بالسوء ، ويشيطان مقرون بها ، فجالا بالصدر ، فمثلا بين عينى القلب صورة الأشياء ، ونفخا ، ونفثا ؟!

هذا ، وتقوم نظرة الترمذى إلى الإنسان على أنه مكون من نفس مظلمة، أمارة بالسوء دائمًا ، وأن الشيطان متعاون معها فى ذلك. أما قلب الإنسان فهو طاهر بطبعه ، ولكنه قد يقع تحت تأثير كل من النفس أو الشيطان، فيمرض . وقد ذكر الله ، تعالى ، مرض القلب فى تنزيله ، فقال : (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) [13] (.

ومن هنا كانت محاولة علاج هذا القلب المريض من أصعب الأمور ، بل إن الترمذى يعدها "أصعب من مداواة تلك القرحة التى وصفنا أضعافاً . فلذلك يحتاج المدارى له إلى علم وبصر ورفق وتأن، حتى تنجع فيه الموعظة".

موقف الإنسان من المنكرات :

يرى الحكيم الترمذى أن المنكر ذو أنواع متعددة . فيذكر أنه قد يكون قولاً ، أو فعلاً ، أو خلقاً من أخلاق السوء .

ويلاحظ أن فصل الترمذى بين الفعل والخلق بحرف العطف (أو) يدل على وعى بالفرق بينهما ، كما يدل على فهم صحيح للخلق كفعل يتكرر من الإنسان باطراد ، ويصدر عنه فى عفوية .

والإنسان مطالب - من الناحية الأخلاقية - بأن يغير المنكر إذا رآه أو كما يقول الترمذى : "يعمل عملاً معروفاً ، يأخذ مكان ذلك المنكر ، فهذا مغير للمنكر - غيره عن حاله - فيصيره بحال يسمى ذلك الحال معروفاً" .

فإذا ظهر أمر منكر ، وحاول إنسان أن يغيره بالقوة ، فإنه لن يفعل حينئذ - فى رأى الترمذى - أكثر من أن يزيد المنكر : ما هو أنكر منه . كما أنه فى الواقع ، لم يغيره ، لأن ذلك المنكر قائم بعينه، وفيه زيادة . فليس هذا بمغير .

يحتاج المغير إذن إلى علم بذلك الأمر ، وبصر فيه ، وهو أن يبصر أصل المنكر ، ومن أين هاج ؟ ويرفق فيه بتمكث وتؤده وتأن وتدبر لعاقبته .

فربما احتاج إلى أن يتلقى صاحب المنكر ببر وهشاشة ومقاربة ولين ، حتى يأخذ من قلبه شعبة ويحل منه محلاً ، تقبل منه نفسه تلك الموعظة بتلك المقاربة على مقدمته .

وربما احتاج إلى أن يتلقاه بسلطان ، يأخذ بقلبه ، ويرغب نفسه، ويهول عليه . فإنما يبصر هذه الأحوال إنسان وافر الحظ من ربه ، وافر الحظ من العقل ، وافر الحظ من اللب .

أما إذا أحس الإنسان أنه أضعف من أن يواجه المنكر ، أو حتى يحتال على تغييره ، فإن دوره ينحصر فى المرحلة الثالثة من الإنكار ، وهى الإنكار بالقلب .

ومن المعروف أن مراتب الإنكار ثلاث : إنكار باليد ، وإنكار باللسان ، وإنكار بالقلب .

والجدير - عند الحكيم الترمذى - أنه يتعمق هذه المراتب الثلاث ، ويضع لكل منها مستويات متفاوتة من حيث الإخلاص وعدمه ، فيقول : "فإذا أنكره بإحدى يديه ، فرده ، وتناوله بالأخرى ، لم يكن هذا إنكاراً ، فإذا أنكر باللسان ، فذمه مرة ثم مدحه أخرى ، لم يكن هذا أنكاراً . كذلك أيضاً سبيل القلب : إذا إنكره بقلبه ، فدفعه ورده ، ثم كان من نفسه إلى قلبه من جرى الشهوة وخلوصها إليه ما اشتهاه بقلبه ، لم يكن هذا إنكاراً .

إلا أنه لما لم يكن لهذا الإنسان ملك فى جرى هذه الشهوة من معدنه (أى من طبيعته السيئة ، أو نفسه الأمارة بالسوء) إلى قلبه لم يبطل إنكاره ، ولكنه إنكار ممزوج بشهوة فى ذلك القلب لذلك المنكر، ولم يكن لقوله - إذا نطق به - سلطان ينفى هذه الشهوة من قلوب أهل المنكر" .

ويستشهد الحكيم الترمذى بحديثين للرسول r ، يوضحان الفرق بين شخصين : أحدهما سكت عن دفع المنكر مداراة ، وسكت عنه الآخر مداهنة :

- يقول الحديث الأول : "إن الله ، تبارك وتعالى ، يسأل العبد يوم القيامة حتى إنه ليقول : ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره - فإذا لقن الله عبداً حجته - قال : "يارب وثقت بك ، وفرقت الناس"

- أما الحديث الثانى فيقول : "لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله عليه فيه مقال ، فلا يقوم له ، فيقول الله ، عز وجل : "ما منعك أن تقول كذا يوم كذا" فيقول : "يارب ، خشيت الناس" فيقول له : "إياى كنت أحق أن تخشى" .

فالأول على المداراة والثانى على المداهنة . ويقارن الترمذى بين عبارة الأول (فرقت الناس) وعبارة الثانى (خشيت الناس) فيقول : إن كلاً منهما ذات دلالة واضحة على الموقف الدينى
والنفسى .

فالفرق أصله من المفارقة بالقلب أى أنه فارق الخلق بقلبه ، لما هم عليه من ارتكاب المنكر ، وانفرد بربه ، ووثق من أنه يعذره على تقصيره فى دفع هذا المنكر .

أما الثانى ، فعندما واجه المنكر ، لم يجرؤ على تغييره خشية من الناس أن يلحقوا به أذى فى نفسه ، أو فى دنياه ، فهو مداهن .

ويقرر الترمذى إن كل خشية يكون للنفس نصيب فيها ، تعد غير محمودة ويستدل على ذلك بموقف الرسول r ، نفسه ، حينما خشى أن يواجه الناس بإعلان زواجه من بنت عمه زينب ، بعد أن يطلقها زيد بن حارثة ، الذى كان متبنى له . فعاتبه الله ، تعالى ، بقوله :

)

وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ

(

(

[14]

)

.

الإنكار الحقيقى إذن لابد أن يكون صادراً عن النفور الكامل من المنكر، والسلامة من أدنى تعلق للقلب به . وقد حدث فى تاريخ بنى إسرائيل أن قوماً ارتكبوا المنكر ، فقامت طائفة منهم ، وأنكرت عليهم ذلك ، ثم آكلوهم، وشاربوهم ، وخالطوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، وذهب بالمخالطة. ما كان فى قلوبهم من الإنكار ، لأنه لم يكن خالصاً ، ولأن قلوبهم كانت تحتوى على بقية من الشهوات .

وفى مقابل ذلك ، يضرب الحكيم الترمذى المثل بموقف صحابة رسول الله r ، كابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، والتابعين كالشعبى وإبراهيم النخعى وشريح ، حين كانوا يدخلون على أمرائهم كالحجاج ، والمختار ، ويزيد ، فيخالطونهم ، ويقبلون برهم . ومع ذلك ، فإنهم كانوا يصدرون عن المداراة والتآلف وإقامة الحقوق، لا على المداهنة ومخاتلة الدنيا بالدين . فإذا رأوا منكراً غيروه بألطف الوجوه ، إن قدروا عليه ، وإن لم يقدروا أخروه إلى وقت آخر .

لا بأس إذن من التعامل مع أصحاب المنكر ، ولكن بقصد إصلاحهم ، وتغيير ما هم عليه ، والمقياس فى ذلك هو سلامة القلب من التعلق بما هم فيه ، والنية الصادقة على محاولة الإصلاح . يقول الترمذى : "فكان علية أصحاب رسول الله r ، وكبراء التابعين يخالطون الأمراء مخالطة الأبدان ، فلم يضرهم ، لأن الضرر فى مخالطة القلوب" .

ثم يقدم الحكيم الترمذى ثلاثة نماذج مختلفة لاستخدام خلق المداراة فى معاملة الآخرين . نكتفى منها بإيراد النموذج التالى :

- دخل ابن عمر ، ومعه ابنه سالم ، على الحجاج ، فجاء بأسير ، فأمر الحجاج سالماً أن يضرب عنقه ، فقام سالم ، فشمر ثيابه ، وحسر عن ذراعيه ، وأخذ السيف ، ومشى إليه ، وابن عمر يناديه : يا سالم ! يا سالم ! فلا يجيبه ، حتى دنا من الأسير ، فقال: يا هذا ، أصليت اليوم صلاة الغداة؟ قال : نعم . فرجع، ووضع السيف ، فقال له الحجاج : مالك ؟ قال سالم : سمعت هذا - وأشار إلى أبيه - يقول : سمعت رسول الله ، يقول : من صلى الغداة فهو فى ذمة الله ، وقد سألته ، فقال : صليت ، وما كنت لأخفر ذمة الله ، فأمر الحجاج بتخلية الأسير .

كتبها Administrator
الأحد, 21 ديسمبر 2014 19:49 - تم التحديث فى السبت, 27 ديسمبر 2014 20:04

ويعلق الحكيم الترمذى على ذلك قائلاً : "فانظر كيف تلطف سالم فى ذلك . فلو كان عندما أمره بضرب عنقه يستقبله بغير هذا لكان غير مستنكر أن يضرب عنقه هو ، فيكون قد جلب الهلاك على نفسه ، وعلى سلطانه . فأراه من نفسه السمع والطاعة للسلطان ، وأراه أنه غير مستحق لذلك ، ووعظه من الجهة التى نجعت فيه ، فهكذا التلطف والترفق والمداراة فى رد المنكر على أهله" .

وعلى الرغم من هذا التحليل الذى قام به الحكيم الترمذى لكل من المداراة والمداهنة ، فإنه يقول عن المداراة ، بصفة خاصة ، إنها "واد عميق ، لا يمكن استقصاء تفسيره إلا فى مدة كثيرة ، وفى صحف كثيرة يطول الوصف لها ، ولكن قد أجملناه بوجيز الصفة" .

وهو يحدد ، فى النهاية ، الفرق بين هذين الخلقين قائلاً : المداراة : أن تسكت عند رؤية المنكر إبقاء على دينك ودين صاحبك حتى لا يزداد ، فهذا من أجل الله ، عز وجل .

والمداهنة : أن تسكت عنه إبقاء على دنياك وجاهك وقدرك وأحوال نفسك . فهذا من أجل نفسك .

* *

)[1]) هذا رأى الدكتور عثمان يحيى - (الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية) للدكتور عبدالفتاح بركة ، 1/60 ، 61 .

)[2]) المرجع السابق 1/61 .

)[3]) انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ، د0 الشيبى .

)[4]) انظر المرجع السابق 1/197-199 ، حيث يعرض الدكتور عبد الفتاح لمكانة الترمذى لدى من جاء بعده بالتفصيل .

)[5]) مقدمة (الرياضة وأدب النفس) .

)[6]) ذخائر الأعلاق ، ص48 .

)[7]) كتاب الفروق (مخطوط مصور) لوحة 11/أ .

)[8]) كتاب الفروق (مخطوط مصور) لوحة 15/ب .

)[9]) سورة البقرة ، الآية 72 .

)[10]) سورة الرحمن ، الآية 37 .

)[11]) كتاب الفروق 2 ، أ .

)[12]) سورة القلم ، الآية 9 .

)[13]) سورة الأحزاب ، الآية 32 .

)[14]) سورة الأحزاب ، الآية 37 .